العتبة العلوية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
(٨٤)

أضواء على التشيع

إعداد
شعبة الدراسات والنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

من إصدارات

العتبة العلوية المقدسة

قسم الشؤون الفكرية والثقافية

ـ شعبة الدراسات والنشر ـ

١٤٣٣هـ ـ ٢٠١٢م

www.imamali-a.com
info@imamali-a.com

تمهيد

كثيرة هي التساؤلات والاستفهامات والتصورات الخاطئة التي تدور في خلد العديد من المسلمين–فضلا عن غيرهم –حول الشيعة، فمتى ظهرت هذه الفرقة من المسلمين؟ وما السبب الذي يقف وراء ظهورهم؟ وما هي حقيقة معتقداتهم؟ وما أهم ما يتميزون به؟ وغير ذلك من التساؤلات والاستفهامات.

والسبب الرئيس الذي أدى إلى هذا النوع من التساؤلات يعود إلى أن هذه الفرقة من المسلمين قد واراها التاريخ عن الأنظار لأنها تعرضت إلى اشد أنواع الملاحقة والقمع من قبل الحكام الجائرين الذين تسلطوا على رقاب المسلمين بالقوة والقهر، لان المتبنيات العقائدية للشيعة لم تكن تسمح لهم أن يذعنوا بالطاعة والانقياد لهؤلاء الطغاة، وكان لا بد للشيعة من مخالفتهم وعدم الرضا بأفعالهم انطلاقا من ثوابت الدين الإسلامي الحنيف، فقد روي عن الإمام الحسين بن علي عليه السلام انه قال: (أيها الناس إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: من رأى سلطانا جائرا مستحلا لحرم الله ناكثا لعهد الله مخالفا لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل

في عباد الله بالإثم والعدوان فلم يغير عليه بفعل ولا قول كان حقا على الله إن يدخله مدخله)[1].

في حين نجد أن طوائف أخرى من المسلمين كانت قد برزت على ساحة التاريخ، واشتهرت بتمثيلها للدين الإسلامي رسميا، واستطاعت أن تصل إلى مراتب عليا في سلطات الدولة الإسلامية، وما ذلك إلا لان من جملة المتبنيات العقائدية لأتباع تلك المذاهب هي: وجوب الطاعة للسلطان حتى لو كان فاجرا ظالما[2].

ومع ارتفاع شيء من تأثير القهر والقسوة والملاحقة التي منيت الشيعة بها في العالم، تمكنوا من أن يتنفسوا شيئا من رياح الحرية، وان تكون لهم منابر يطلقون منها صوتهم إلى الناس كافة، يدعونهم إلى الوقوف على الحق والحقيقة في أمر تاريخهم وعقيدتهم، ويدفعون عن أذهان الناس كل تهمة باطلة ألصقتها أجهزة الحكام الجائرين بهم ظلما وعدوانا.

وهذا البحث هو خطوة متواضعة في هذا الطريق.. ومن الله نستمد العون والتوفيق.

---

١. تاريخ الطبري، الطبري ٤ : ٣٠٤.

٢. ينظر تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة: ١٤٥.

مقدمة

يشير تاريخ الدين الإسلامي إلى أن ظاهرة تعدد المذاهب فيه كانت بعد وفاة نبي الإسلام ﷺ وظهور النزاع والاختلاف بين المسلمين فيما يتعلق بالمسائل السياسية وتولي شؤون السلطة في الأمة.

وظهور المذاهب المتعددة مؤشر طبيعي على اختلاف أتباع أي دين في فهم تعاليمه، فكلمة مذهب -المأخوذة من كلمة ذَهَبَ بمعنى مضى - أي مضيّ[1] المرء في إتباع ما يراه صحيحا في أمر ما، ومن هنا جاء المعنى الاصطلاحي لكلمة مذهب وهو: إتباع الإنسان ما يفهمه من أمر الدين ويعتقد بصحته، وأتباع أي مذهب يرجعون في الغالب إلى (ما ذهب إليه) مؤسس ذلك المذهب في فهمه للنص الشرعي.

إذاً، لا بد في مسألة التعدد المذهبي من وجود اختلاف في أمر الدين[2]، والباحث المنصف يجد أن اغلب اختلاف الناس في أمر الدين

---

١. معجم مقاييس اللغة - أبو الحسين أحمد بن فارس زكريا ٢ : ٣٦٢.

٢. هنالك نوع من الاختلاف في أحكام الدين يتعلق بفهم التشريع الإسلامي الأساسي من منابعه الأصلية، وهذا الفهم يمكن أن يقع وفق الضوابط العقلية والشروط الدينية الصحيحة، وهو ما يسمى بالاجتهاد، وهذا اللون من الاختلاف لا بأس فيه، ولا يعد من الابتداع في الدين، وهو في الغالب يقع في الفروع من الأحكام التي لم تقع في زمان المشرع الإسلامي، حيث يحتاج المسلم – من اجل التعامل معها - إلى استنباط أحكام شرعية خاصة بها من الخطوط العامة التي رسمها

الإسلامي لا مبرر شرعي له، لان رسالة الإسلام رسالة واحدة، وأركانه ليس فيها تهافت حتى تقوّم أو تكمل بآراء الناس وأفكارهم المختلفة.

لذا فان مسألة تعدد المذاهب واختلافها كانت ولا تزال من الأمور المنهي عنها في الشريعة الإسلامية، فمن جهته ذمّ القران الكريم صريحا في عدد من آياته المباركة تفرق الناس واختلافهم في الدين، قال تعالى: **(وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ)**(آل عمران/١٠٥) وقال تعالى: **(وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ)** (آل عمران/١٠٣) وقال تعالى: **(إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ)** (الأنعام/١٥٩).

كما ورد في عدد من النصوص الشريفة عن نبي الإسلام ﷺ النهي الشديد عن إعمال الرأي في الدين[1] والذي يجر بشكل طبيعي إلى التعدد والاختلاف المذهبي.

وهذا التشديد الواضح من قبل المشرع الإسلامي في عدم فسح المجال واسعا أمام الناس لإعمال آرائهم الشخصية أمر ضروري جدا، وذلك

المشرع الاسلامي لمسايرة المتغيرات التي يعيشها الناس خلال العصور المتعاقبة، أما الأحكام التي ثبت البت بها من قبل المشرع الاسلامي، فلا يجوز الاجتهاد فيها والاختلاف.

١. ورد في سنن سنن الترمذي ٤ : ٢٦٨ أن النبي ﷺ قال: (اتقوا الحديث عنى إلا ما علمتم فمن كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار ، ومن قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار)

من اجل الحفاظ على التشريع السماوي خاليا من التحريف، كما أصاب العديد من الأديان السابقة، حينما لم تسلم من آراء الناس واستحساناتهم، فصبغوها بأذواقهم الشخصية حتى أصبحت الاديان السالفة بعيدة كل البعد عن مبادئها وغاياتها الأولى.

وقد ورد صريحا في كلام للإمام علي بن أبي طالب(عليه السلام) الانتقاد للذين يختلفون في أحكام الدين، اسقط فيه جميع الحجج التي يمكن أن يتذرع بها الناس لتبرير اختلافهم، قال(عليه السلام): (تَرِدُ عَلَى أَحَدِهِمُ الْقَضِيَّةُ فِي حُكْمٍ مِنَ الْأَحْكَامِ فَيَحْكُمُ فِيهَا بِرَأْيِهِ ثُمَّ تَرِدُ تِلْكَ الْقَضِيَّةُ بِعَيْنِهَا عَلَى غَيْرِهِ فَيَحْكُمُ فِيهَا بِخِلافِ قَوْلِهِ ثُمَّ يَجْتَمِعُ الْقُضَاةُ بِذَلِكَ عِنْدَ الْإِمَامِ الَّذِي اسْتَقْضَاهُمْ فَيُصَوِّبُ آرَاءَهُمْ جَمِيعاً وَإِلَهُهُمْ وَاحِدٌ وَنَبِيُّهُمْ وَاحِدٌ وَكِتَابُهُمْ وَاحِدٌ.

أَفَأَمَرَهُمُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِالِاخْتِلَافِ فَأَطَاعُوهُ أَمْ نَهَاهُمْ عَنْهُ فَعَصَوْهُ؟ أَمْ أَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ دِيناً نَاقِصاً فَاسْتَعَانَ بِهِمْ عَلَى إِتْمَامِهِ؟ أَمْ كَانُوا شُرَكَاءَ لَهُ فَلَهُمْ أَنْ يَقُولُوا وَعَلَيْهِ أَنْ يَرْضَى؟ أَمْ أَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ دِيناً تَامّاً فَقَصَّرَ الرَّسُولُ(صلى الله عليه وآله وسلم) عَنْ تَبْلِيغِهِ وَأَدَائِهِ؟ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ يَقُولُ ما فَرَّطْنا فِي الْكِتابِ مِنْ شَيْءٍ وَفِيهِ تِبْيَانٌ لِكُلِّ شَيْءٍ وَذَكَرَ أَنَّ الْكِتَابَ يُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضاً وَأَنَّهُ

لَا اخْتِلَافَ فِيهِ فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَلَوْ كانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً)[1].

ومن الجدير ذكره أن مسألة تعدد المذاهب واختلاف المسلمين فيها تعيد إلى الذهن الأحاديث الكثيرة الواردة عن النبيﷺ التي تعرف بأحاديث "الفرقة الناجية"، وهذه الأحاديث تؤكد ما اشرنا إليه من أن الاختلاف بين المسلمين وتشتتهم إلى مذاهب لم يكن أمرا محمودا من قبل المشرّع الإسلامي إطلاقا، ورد عنهﷺ قوله: (إن بني إسرائيل قد افترقت على ثنتين وسبعين فرقة وأنتم تفترقون على مثلها كلها في النار إلا فرقة)[2] وقولهﷺ: (إن بني إسرائيل افترقت على إحدى وسبعين فرقة، وإن أمتي ستفترق على ثنتين وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة . وهي الجماعة)[3]، وعنهﷺ انه قال: (تفترق أمتي على بضع وسبعين فرقة أعظمها فتنة على أمتي قوم يقيسون الأمور برأيهم فيحلون الحرام ويحرمون الحلال)[4].

وفي الوقت نفسه، تخبرنا هذه الأحاديث عن فرقة وحيدة بقيت على تمسكها بأمر الدين دون تحريف أو تغيير، وبالتالي فليس من الصحيح أن

١. نهج البلاغة: الخطبة ١٨

٢. مسند احمد، الإمام احمد بن حنبل: ٣/ ١٢٠.

٣. سنن ابن ماجة ٢ :١٣٢٢

٤. المستدرك، الحاكم النيسابوري: ٣/ ٥٤٧.

نعتبر هذه الفرقة مذهبا حالها كحال باقي المذاهب، بل هي الفرقة التي حافظت على الإسلام الحنيف نظيفا من شوائب التحريف، ولا مفر من البحث عنها وتسليط الضوء عليها، لأنه على معرفتها والانتماء إليها تتوقف نجاة المسلم في حياته الأخرى كما صرحت الأحاديث النبوية.

والمتتبع لتاريخ المذاهب الإسلامية والمتبنيات الفكرية التي تقوم عليها، يجد أن أتباع أهل البيت "الشيعة" هم الفرقة الوحيدة التي حافظت على مجمل التراث الأصيل الوارد عن النبي ﷺ، حيث تقوم تعاليم المدرسة التي ينتمون إليها على الالتزام الشديد بالأسس التشريعية التي وردت في كتاب الله سبحانه وسنة نبي الإسلام ﷺ، بحيث لا يجوّز أي شيعي الخروج عما أمر به الله تعالى ورسوله الكريم تحت أي ذريعة كانت.

ووفق هذا المنهج القائم على التعليم الإسلامي الأصيل، قامت مدرسة أهل البيت عليهم السلام.

ومن كل الذي تقدم نعرف انه ليس من الصحيح اعتبار التشيّع مذهبا نشأ في عصور متأخرة عن عصر نبي الإسلام ﷺ، أو انه تيار سياسي وُجد بسبب الخلاف الذي حصل بعد رحيل الرسول حول تولّي زمام الحكم في الأمة الإسلامية، أو انه نشأ – كما نشأ غيره من المذاهب الإسلامية -بسبب الحاجة إلى فتح باب الاجتهاد الإسلامي بعد ابتعاد

الزمن عن مصادر التشريع الأولى في عصر النبي ﷺ ، إنما التشيّع إتباع لأوامر الشريعة كما انزلها الله تعالى، وبيّنها على لسان نبيه الكريم ﷺ.

لذلك فقد شدّدنا في بحثنا هذا على عدم اعتبار الشيعة طائفة من الطوائف المحدثة، أو مذهبا من المذاهب المتعارفة، بل ركّزنا على كونهم هم الخط الوحيد الذي حافظ على دين الإسلام أصيلا كما نزل من عند الله تعالى، وبكلمة اخرى: هم "الفرقة الناجية" التي وردت البشارة لها في أحاديث الرسول الاكرم ﷺ.

وهذه النقطة الجوهرية تفتح آفاقا صحيحة في ذهن القارئ الكريم وهو يتصفح هذا البحث الموجز حول شيعة أهل البيت عليهم السلام.

أولا: التشيّع في اللغة والاصطلاح

الشيعة كلمة أصلها شاع، وتعني المتابعة والمرافقة[1]، ومنها كلمة (شايعه) بمعنى تابعه وأولاه أمره.

قال ابن منظور: (الشيعة: أتباع الرجل وأنصاره، وجمعها شيع، وأشياع جمع الجمع، ويقال: شايعه كما يقال والاه من الولي... وأصل الشيعة الفرقة من الناس، ويقع على الواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث بلفظ واحد ومعنى واحد، وقد غلب هذا الاسم على من يوالي عليا وأهل بيته رضوان الله عليهم أجمعين، حتى صار لهم اسما خاصا فإذا قيل: فلان من الشيعة عرف أنه منهم. وفي مذهب الشيعة كذا أي عندهم . وأصل ذلك من المشايعة، وهي المتابعة والمطاوعة)[2].

وهذا المعنى اللغوي يؤكد المراد من الشيعة في الواقع، وان كانت كلمة الشيعة في الاصطلاح تؤدي نفس المعنى في وجه من الوجوه.

اننا نجد أن التشيّع ـ بهذا المعنى اللغوي الأصلي ـ صفة لازمت كل الأديان السماوية التي جاءت على أيدي الأنبياء السابقين، وذلك بصريح القران الكريم حيث قال: **(وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ)**(الصافات/٨٣) وقال تعالى حكاية لقصة النبي موسى عليه السلام: **(وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ**

١. المنجد في اللغة: ٤١١.

٢. لسان العرب لابن منظور: ٨/ ١٨٨ - ١٨٩

مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ(القصص/١٥) باعتبار أن كلمة الشيعة في الأصل تعني الإتباع والطاعة، ولما كان لكل نبي طائفة من الأتباع الذين يطيعونه في كل ما أمر به، فلا بد من أن يكون لكل نبي شيعة بهذا المعنى.

نعم، إن المتغيرات العقائدية التي استتبعت القضايا السياسية لدى المسلمين، ميّزت الشيعة عن غيرهم، فصارت تسمية "شيعة" تعني بالاصطلاح: الفرقة التي ترى أحقيّة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وأبنائه بخلافة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في قيادة الأمة الإسلامية من بعده.

والواقع الذي يقف وراء هذا المعنى الاصطلاحي هو: أن هؤلاء إنما كانوا شيعة علي بن أبي طالب عليه السلام وأبنائه بمشايعتهم(إتباعهم) للنبي في وجوب إتّباع علي وأبنائه عليهم السلام لا غير.

فالشيعة هم الوحيدون الذين بقوا متقيدين بأوامر النبي صلى الله عليه وآله وسلم في وجوب التمسك بموالاة أهل البيت عليهم السلام دون سواهم، عملا بوصية النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حديثه المتواتر: (إني تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي

وانهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض)[1] وحديثه المشهور: (مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق)[2].

لذا نرى انه من غير الصحيح جعل المراد من "الشيعة" منحصرا فيمن يرى أحقيّة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام بخلافة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لقيادة الأمة فحسب، إنما المراد من "الشيعة" من اتبع أوامر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وسنته الصحيحة، ولم يزغ عنها بسبب تحريف أو تأويل باطل.

وبذلك نعرف أن الإيمان بأحقية الإمام علي عليه السلام في خلافة الرسول وتولي قيادة الأمة ينبع من الالتزام بمعطيات السنة النبوية الأصيلة[3]، وليس مستقلا عنها، وعليه فإن عقيدة الشيعة تقع في صلب الشريعة الإسلامية، وليست غريبة عنها أو مبتدعة فيها، وأي اختلاف بين الشيعة وغيرهم من أتباع المذاهب الإسلامية ينطلق من هذا الأصل.

---

١. مسند احمد، الإمام احمد بن حنبل: ١٤/٣/، المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري ٣: ١٤٩.

٢. المعجم الأوسط للطبراني ٥:٣٥٥ - الدر المنثور للسيوطي ٣: ٣٣٤

٣. ان ذكر السنة النبوية الصحيحة والتركيز عليها لا يعني ترك العمل بالقران الكريم أو إهماله، كيف والقران هو الثقل الأكبر للشريعة، ولكن اقتصرنا بالذكر على سنة الرسول لأنها الحاكية والمفسرة لمضامين القران الكريم

ثانيا: الشيعة في عهد النبي ﷺ

عودا على بدء، كان نشوء الشيعة متزامنا مع نهضة خاتم الأنبياء ﷺ، ولدينا فيما ورد على لسانه ﷺ ما يؤكد هذه الحقيقة، إذ أن اسم الشيعة ورد في بشارته لهذه الطائفة التي تمسكت بالقران وبعترة النبي اشد التمسك، قال ﷺ: (يا علي إنك ستقدم على الله وشيعتك راضين مرضيين، ويقدم على الله أعداؤك غضابا مقمحين)[1].

وروي عن ابن عباس قال: (لما نزلت هذه الآية "إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية" قال رسول الله ﷺ لعلي: هو أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين)[2].

وعن جابر بن عبد الله قال: كنا عند النبي ﷺ فأقبل علي بن أبي طالب عليه السلام فقال النبي ﷺ: (قد أتاكم أخي) ثم التفت إلى الكعبة فضربها بيده ثم قال: (والذي نفسي بيده إن هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة) ثم قال: (إنه أولكم إيمانا معي وأوفاكم بعهد الله وأقومكم بأمر الله وأعدلكم في الرعية وأقسمكم بالسوية وأعظمكم عند الله مزية)

---

١. ينابيع المودة لذوي القربى، القندوزي: ٢/ ٤٤٥.

٢. فتح القدير، الشوكاني: ٥/ ٤٧٧.

قال: ونزلت " إن الذين امنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية " قال: فكان أصحاب محمدﷺ إذا أقبل عليّ قالوا قد جاء خير البرية[1].

ومثل هذه الأحاديث النبوية الشريفة تحقق ما قدمناه من أن الشيعة لم يكونوا يوما مذهبا محدثا ظهر بعد النبيﷺ وإنما ورد ذكرهم في عصره وعلى لسانه الشريف، وبين فضلهم وإتباعهم للحق وتمسكهم بالمنهج الإسلامي القويم.

١. تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ٤٢/ ٣٧١.

ثالثا: الشيعة في عهد أئمتهم عليهم السلام

يلتزم الشيعة بإطاعة اثني عشر خليفة بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، يعتقدون بعصمتهم عن الذنب والخطأ، ويقتفون منهجهم باعتبارها امتداد لسنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وقد بيّن النبي صلى الله عليه وآله وسلم عدد هؤلاء الأئمة إجمالا، كما بيّنهم بالتفصيل بأسمائهم في أحاديث شريفة أخرى وردت عنه.

فقد جاء عنه صلى الله عليه وآله وسلم قوله: (يكون بعدي اثنا عشر خليفة كلهم من قريش)[1]، وروي عن جابر بن سمرة قال: سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (لا يزال أمر الناس ماضيا ما وليهم اثنا عشر رجلا) ثم تكلّم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بكلمة خفيت عليّ، فسألت أبي: ماذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال: (كلّهم من قريش)[2].

وعن عبد الرحمن بن سمرة انه قال: قلت: يا رسول الله أرشدني إلى النجاة، قال: (يا ابن سمرة إذا اختلفت الأهواء، وتفرقت الآراء فعليك بعلي بن أبي طالب، فإنه إمام أمتي وخليفتي عليهم من بعدي، وهو الفاروق الذي يميز بين الحق والباطل، من سأله أجابه ومن استرشده أرشده، ومن طلب الحق من عنده وجده، ومن التمس الهدى وجده

١. مسند احمد، الإمام احمد بن حنبل ٥ : ٩٢.

٢. صحيح مسلم، مسلم النيسابوري ٦ : ٣.

لديه، ومن لجأ إليه أمنه، ومن استمسك به نجّاه، ومن اقتدى به هداه، يا ابن سمرة، سلِم من سلّم له ووالاه، وهلك من رد عليه وعاداه، يا ابن سمرة إن عليّاً مني روحه من روحي وطينته من طينتي، وهو أخي وأنا أخوه، وهو زوج ابنتي فاطمة سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين، وان منه إمامَي أمتي وسيّدَي شباب أهل الجنة الحسن والحسين، وتسعة من ولد الحسين تاسعهم قائم أمتي يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما)[1].

وعن جابر بن عبد الله الأنصاري انه قال: (يا رسول الله ومن الأئمة من ولد علي ابن أبي طالب؟) قال: (الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، ثم سيد العابدين في زمانه علي بن الحسين، ثم الباقر محمد بن علي وستدركه يا جابر، فإذا أدركته فأقرئه مني السلام، ثم الصادق جعفر بن محمد، ثم الكاظم موسى بن جعفر، ثم الرضا علي بن موسى، ثم التقي محمد بن علي، ثم النقي علي بن محمد، ثم الزكي الحسن بن علي، ثم ابنه القائم بالحق مهدي أمتي الذي يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما، هؤلاء يا جابر خلفائي وأوصيائي وأولادي وعترتي، من أطاعهم فقد أطاعني، ومن عصاهم فقد عصاني، ومن أنكرهم أو أنكر واحدا منهم فقد أنكرني، بهم يمسك الله

١. روضة الواعظين، الفتال النيسابوري: ١٠٠.

عز وجل السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، وبهم يحفظ الله الأرض أن تميد بأهلها)[1].

هؤلاء هم أهل البيت عليهم السلام الأئمة الاثنا عشر وخلفاء الرسول، الذين أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم المسلمين أن يوالوهم ويحبّوهم ويقتفوا أوامرهم.

ولكن من عجيب الدهر أن الكثير من طوائف الأمة الإسلامية قد تنكروا لهؤلاء الأئمة، وجحدوا حق طاعتهم وموالاتهم، ولم يكتفوا بالإعراض عنهم، بل تتبعوهم بالظلم والقتل والتشريد، وأطاعوا فيهم حكام الجور، لان الظلام لا يحب النور، والباطل لا يألف الحق **(وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ)** (المؤمنون/٧٠).

وفاجعة قتل الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام في كربلاء سنة ٦١ هـ خير مثال على هذه الحقيقة.

لذا، فمن الطبيعي أن يتعرض الشيعة – حالهم حال أئمتهم - إلى القتل والتشريد والملاحقة، فاستشهد خلال فترات متقاربة كبار العلماء والفضلاء والصالحين منهم، كعبد الله بن خباب وميثم التمار وحجر بن عدي ورشيد الهجري وسعيد بن جبير وكميل بن زياد وقنبر خادم أمير المؤمنين عليه السلام وهاني بن عروة وابن السكيت وغيرهم ممن لا يحصيهم القلم أو يسعهم المقام.

---

١. كمال الدين وتمام النعمة، الشيخ الصدوق : ٢٥٨ – ٢٥٩.

هذا فضلا عن العلماء والصالحين الذين استشهدوا في المعارك التي قادها الإمام علي بن أبي طالب والإمام الحسن والإمام الحسين عليهم السلام ضد الناكثين والقاسطين والمارقين[1] ومن سار على خطهم في عصور متأخرة عن عصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

لذا فقد لجأ الشيعة في عامة العصور المتأخرة إلى التقية، بأن يتواروا عن الأنظار ويخفوا ولاءهم لأهل البيت عليهم السلام ولا يظهروه علنا إلا للمؤتمنين على الإسرار[2].

وبسبب ذلك، يجد المتتبع لمجمل تاريخ الأمة الإسلامية انه لم تقم لشيعة أهل البيت عليهم السلام دولة باسمهم إلا في أوقات محدودة من التاريخ، حيث ساعد تزايد عدد أتباع أهل البيت عليهم السلام وضعف السلطات الحاكمة إلى أن يخرج الشيعة مؤقتا عن دائرة الاضطهاد، ليؤسسوا لأنفسهم دولة في بقعة تمتد على حدود جغرافية محدودة.

---

١ وردت مصطلحات (الناكثين والمارقين والقاسطين) على لسان النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقد روي عن زيد بن علي بن الحسين بن علي عن أبيه عن جده عن علي قال: (أمرني الله رسول صلى الله عليه وآله وسلم بقتال الناكثين والمارقين والقاسطين) ينظر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ٤٢ :٤٦٨

٢ ورد حكم التقية في القران الكريم نفسه، حيث شرع استخدامها عند الضرورة، قال تعالى: (**لاَّ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُوْنِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً**) آل عمران/٢٨ وسيأتي ذكرها بشيء من التفصيل.

نبذة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام :

أثبتت الوقائع التاريخية ما جاءت به بشرى الإسلام على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حول مكانة وفضل أهل البيت النبوي عليهم السلام ما يدلل على سعة علمهم وسامي مكانتهم، وعظيم منزلتهم، فهم المنبع الصافي الذي ينبئ عن أمر الله تعالى.

فلم يؤثر في التاريخ ـ كل التاريخ ـ ان واحدا من هؤلاء الأئمة قد تعلم على يدي عالم من علماء الأمة الإسلامية، أو فقيها من فقهائها في شؤون الدين والدنيا، بل كانوا جميعا هم مصدر العلوم، وعلى يديهم تتلمذ كبار الفقهاء والعلماء، والإمام السادس من أئمة أهل البيت ـ جعفر بن محمد الصادق عليه السلام ـ أفضل مثال على هذه الحقيقة، فهو أستاذ فقهاء المذاهب الأربعة من أهل السنة والجماعة، أضف إلى أن على يديه برز علماء في العلوم الطبيعية، كجابر بن حيان، عالم الكيمياء المعروف.

كما لم يؤثر في التاريخ ـ كل التاريخ ـ ان واحدا من هؤلاء الائمة سُئل عن مسألة فعيّ عن الجواب، او اخطأ في الصواب، وهم في كل تعاليمهم وأجوبتهم قد جاءت افكارهم وعلومهم متسقة مع بعضها، وكأنها صادرة عن إنسان واحد في زمن واحد، في حين انها صدرت عن

اثنا عشر رجلا خلال فترة زمنية تمتد أكثر من مائتي سنة وفي ظروف فكرية واجتماعية مختلفة.

مضافا الى ذلك، ما عرف عنهم عليهم السلام من سلوك أخلاقي عظيم ومنهاج سياسي حكيم، أشاد به المبغضون قبل الأحباب، ومدحه الغرباء قبل الأصحاب.

وبعد كل هذا، رويت العديد من الأخبار التي تثبت سريان كرامات من خوارق الطبيعة على يدي هؤلاء الأولياء لاثبات حق او دفع باطل، وقد دوّنتها كتب تاريخية عديدة واثبت صحتها شهرتها بين الخاص والعام.

وفي هذا المقام، نجد انه من الجيد أن نورد نبذة من المعلومات الموجزة عن حياة الائمة الاثني عشر عليهم السلام ليعم النفع وتكمل الفائدة.

١ - الإمام علي بن ابي طالب عليه السلام :

هو اول ائمة اهل البيت عليهم السلام وأعظمهم قدرا، وهو ابن عم رسول الله وخليفته وابو ذريته وزوج ابنته الزهراء عليها السلام.

ابوه ابو طالب بن عبد مناف، سيد قريش وكافل الرسول والمدافع عن الرسالة الاسلامية منذ بدء دعوتها، اما امه فهي فاطمة بنت اسد الكلابية، التي احتضنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منذ صباه، حتى كان صلى الله عليه وآله وسلم يسميها أمي.

ولد عليه السلام في الثالث عشر من شهر رجب في ٣٠ من عام الفيل، واستشهد في ٢١ شهر رمضان عام ٤٠ للهجرة بعد ان ضربه الخارجي عبد الرحمن بن ملجم على رأسه وهو يصلي في محراب مسجد الكوفة المعظم، ودفن في ارض النجف الاشرف في العراق.

٢ - الامام الحسن بن علي عليه السلام :

ويلقب بالمجتبى وكريم اهل البيت، وهو اكبر اولاد الامام علي بن ابي طالب عليه السلام، امه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولد في ١٥ رمضان سنة ٢ للهجرة، واستشهد في ٧ صفر سنة ٤٩ هجرية بعد ان دست

زوجه جعدة بنت الاشعث السم في طعامه بعد ان اغراها الخليفة الاموي معاوية بن ابي سفيان بذلك، وقد دفن في ارض البقيع في المدينة المنورة.

٣ - الامام الحسين بن علي عليه السلام :

ويلقب بسيد الشهداء، وهو الابن الثاني للإمام علي بن ابي طالب عليه السلام، وأمه فاطمة بنت الرسول عليها السلام، ولد في الثالث من شعبان سنة ٢ للهجرة، واستشهد في معركة الطف الاليمة مضحيا بنفسه دفاعا عن دين جده صلى الله عليه وآله وسلم في العاشر من محرم الحرام سنة ٦١ للهجرة، ودفن في ارض كربلاء في العراق.

٤ - الإمام علي بن الحسين عليه السلام :

ويلقب بـ(زين العابدين) و(السجاد) لكثرة عبادته وسجوده لله سبحانه، وهو صاحب الصحيفة السجادية العظيمة في الأدعية والمناجاة لله تعالى، أبوه الإمام الحسين بن علي عليه السلام وأمه شاه زنان بنت كسرى يزدجرد، ولد في الخامس من شعبان سنة ٣٨ هجرية، واستشهد في الخامس والعشرين من محرم سنة ٩٤ للهجرة بعد ان دس اليه السم الخليفة الاموي الوليد بن عبد الملك، ودفن في البقيع في المدينة المنورة الى جانب مرقد عمه الامام الحسن عليه السلام.

٥ - الإمام محمد بن علي عليه السلام :

ويلقب بالباقر لسعة علمه، وهو اسم لقبه به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في حديثه مع جابر الانصاري: (انك ستدرك رجلا مني، اسمه اسمي، وشمائله شمائلي، يبقر العلم بقرا)[١].

أبوه الإمام علي بن الحسين عليه السلام وأمه فاطمة بنت الحسن المجتبى عليه السلام، ولد في الثالث من صفر سنة ٥٧ هجرية، واستشهد في ٧ ذي الحجة سنة ١١٤ هجرية بعد ان دس اليه السم الخليفة الاموي هشام بن عبد الملك، ودفن في البقيع في المدينة المنورة الى جانب قبري جده وابيه عليهما السلام.

٦ - الامام جعفر بن محمد عليه السلام :

ويلقب بالصادق، وهو صاحب المدرسة العلمية الكبرى التي اسسها بعد ارتفاع الضغط السياسي الذي كانت تمارسه السلطة الاموية، حتى ورد عن أبي محمد الوشاء البجلي قوله: (إني أدركت تسعمائة شيخ كلٌ يقول حدثني جعفر بن محمد عليه السلام)[٢].

---

١. الكافي للشيخ الكليني ١ : ٤٧٠.

٢. الذريعة لاغا بزرك الطهراني ٢٠ : ٣٤٨.

ابوه الامام محمد الباقر(عليه السلام) وامه ام فروة بنت القاسم، ولد في ١٧ ربيع الاول سنة ٨٣ هجرية، واستشهد في ٢٥ شوال سنة ١٤٨ هجرية، بعد ان دس اليه السم الخليفة العباسي ابو جعفر المنصور، ودفن في البقيع في المدينة المنورة الى جانب قبور آبائه(عليهم السلام).

٧ - الإمام موسى بن جعفر(عليه السلام):

ويلقب بالكاظم لشدة صبره على الاذى، حتى روي انه كثيرا ما كان يقول في دعائه وهو في ظلمات سجون بني العباس: (اللهم إنك تعلم أني كنت أسالك أن تفرغني لعبادتك، اللهم وقد فعلت فلك الحمد)[1].

أبوه الإمام جعفر الصادق(عليه السلام) وأمه اسمها حميدة المصفّاة، ولد في السابع من شهر صفر سنة ١٢٨ هجرية واستشهد في ٢٥ رجب سنة ١٨٣ هجرية بعد أن دس إليه السم الخليفة العباسي هارون، ودفن في بغداد في العراق.

١. الارشاد للشيخ المفيد ٢: ٢٤٠.

٨ - الإمام علي بن موسى عليه السلام :

ويلقب بالرضا، لرضاه بالقدر والقضاء، وببركات وجوده في مدينة خراسان استطاع أن ينشر التشيع في تلك المعمورة على سعتها واختلاف أفكارها.

أبوه الإمام موسى الكاظم عليه السلام وأمه اسمها نجمة، ولد بتاريخ ١١ ذي القعدة سنة ١٤٨هجرية واستشهد في ١٧ صفر سنة ٢٠٣ هجرية، وذلك بعد أن دس إليه السم المأمون العباسي، ودفن عليه السلام في مدينة خراسان في إيران.

٩ - الإمام محمد بن علي عليه السلام :

ويلقب بالجواد، قال عنه الإمام الرضا عليه السلام : (والله لا تمضي الأيام والليالي حتى يرزقني الله ذكرا يفرق بين الحق والباطل)[1].

أبوه الإمام علي الرضا عليه السلام وأمه خيزران النوبية، ولد في ١٠ رجب سنة ١٩٥ هجرية واستشهد في آخر شهر ذي القعدة سنة ٢٢٠ هجرية بعد أن دست إليه السم زوجه أم الفضل بنت المأمون بتحريض من الخليفة العباسي المعتصم، ودفن في بغداد بجانب قبر جده موسى الكاظم عليه السلام في العراق.

---

١. الارشاد للشيخ المفيد ٢ : ٢٧٧.

١٠ - الإمام علي بن محمد عليه السلام :

ويلقب بالهادي، صاحب الكرامات الباهرة والحجج الدامغة، أبوه الإمام محمد الجواد عليه السلام وأمه اسمها سمانة المغربية، ولد في ١٥ ذي الحجة سنة ٢١٢ هجرية واستشهد في ٣ رجب سنة ٢٥٤ هجرية بعد أن دس إليه السم الخليفة العباسي المعتمد، ودفن في سامراء في العراق.

١١ - الإمام محمد بن علي عليه السلام :

ويلقب بالعسكري، الذي روي عنه قوله: (قبري بسر من رأى أمان لأهل الجانبين)[1]، أبوه الإمام علي الهادي عليه السلام، وأمه اسمها حديثة، ولد بتاريخ ٨ ربيع الثاني ٢٣٢ هجرية واستشهد بتاريخ ٨ ربيع الأول ٢٦٠ هجرية بعد أن دس إليه السم الخليفة العباسي المعتمد، وقد دفن عليه السلام إلى جانب قبر والده الإمام الهادي عليه السلام في سامراء في العراق.

١٢ -الإمام محمد بن الحسن عليه السلام :

ويلقب بالمهدي والمنتظر والحجة، وهو آخر الأئمة خلفاء الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ولد في الخامس عشر من شعبان سنة ٢٥٥ هجرية، وقد

١. تحرير الأحكام للعلامة الحلي ٢: ١٢٦.

أطال الله عمره، فهو حي إلى يومنا هذا، وقد توارى عن الأنظار حتى يأذن الله سبحانه بظهوره لإصلاح ما فسد من الأرض ونشر راية الدين الحق في ربوع المعمورة، كما بشر بذلك نبي الإسلام العظيم ﷺ، حيث قال: وقال ﷺ: (لا تقوم الساعة حتى يملك رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي يملأ الأرض عدلا وقسطا كما ملئت ظلما وجورا)[1].

١. المعجم الكبير، الطبراني: ١٠/ ١٣٣.

رابعا: الشيعة في عصر الغيبة

حينما وصل الحال بالسلطات الحاكمة إلى أقصى مدى في ملاحقة أهل بيت النبي عليهم السلام بالظلم، حكم القضاء الإلهي أن يغيب الإمام الثاني عشر منهم عليهم السلام عن الناس لأَجَلٍ لا يعلمه إلا الله سبحانه .

ففي سنة ٢٦٠ هـ ابتدأ عصر الغيبة بتواري الإمام محمد بن الحسن المهدي عليه السلام عن الأنظار بعد شهادة والده الإمام العسكري عليه السلام ، موكلا عنه في أثناء غيبته هذه أربعة من رجال الشيعة المعتمدين، يمثلون الواسطة بين الناس وبين الإمام المهدي عليه السلام ، واليهم رجع الشيعة في شؤون دينهم ودنياهم في تلك العصور، وهؤلاء النواب هم:

١ -عثمان بن سعيد العمري: كان نائبا للإمام الهادي والإمام العسكري ثم الإمام المهدي عليهم السلام ، ومدة نيابته للإمام المهدي(عليه السلام) حوالي خمس سنوات، توفي سنة ٢٦٦ هـ .

٢ -ابنه أبو جعفر محمد بن عثمان بن سعيد الخلاني، وقد استلم النيابة بعد وفاة ابيه عثمان بن سعيد وبقي حوالي خمسين سنة في النيابة إلى أن توفي عام ٣٠٤ أو ٣٠٥ هـ .

٣ -أبو القاسم الحسين بن روح النوبختي، قام بالنيابة بعد وفاة الخلاني وبقي قائما بأعباء النيابة حتى توفي عام ٣٢٦ هـ .

٤ -أبو الحسن علي بن محمد السمري، حيث قام بالأمر بعد النوبختي إلى أن توفي عام ٣٢٩ هـ.

وفي زمن نيابة السمري، صدر التبليغ من قبل الإمام المهدي(عليه السلام) بانتهاء دور النيابة الخاصة ـ التي بلغت مدتها اكثر من تسع وستين سنة ـ وأعلن عن بداية الغيبة التي لا يكون له فيها نواب خاصّون ـ وتسمى بالغيبة الكبرى ـ وأوكل أمر بيان أحكام الدين الشريف فيها إلى الفقهاء من أتباع مدرسة أهل البيت(عليهم السلام)، فقد ورد انه(عليه السلام) كتب في جواب مسائل إسحاق بن يعقوب ما نصه: (... وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا فإنهم حجتي عليكم وأنا حجة الله عليهم)[1].

وكأن أفراد الشيعة في تلك المرحلة قد بلغوا من الرشد والأهلية ما يمكّنهم من استنباط الأحكام الشرعية استنادا إلى الموروث الإسلامي المأثور عن أهل البيت(عليهم السلام) من اجل تسيير شؤونهم في عصر غيبة الإمام[2].

والى اليوم، ينتظر الشيعة جميعا ظهور الإمام المهدي(عليه السلام) من جديد ليحيي معالم الدين ويمحق دولة الظالمين.

١. كمال الدين وتمام النعمة ، الصدوق: ٤٨٥.

٢. الرسائل العشر، الشيخ الطوسي: هامش: ١٦.

ولا يظنّ ظان أن عقيدة الإمام المهدي مما انفردت به الشيعة دون غيرهم، لان هذه الحقيقة قد بشر بها النبيﷺ في العديد من الأحاديث النبوية باتفاق جميع مذاهب المسلمين، ومن تلك الأحاديث قولهﷺ: (لا تنقضي الأيام ولا يذهب الدهر حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي اسمه يواطئ اسمي)[1]، وقولهﷺ: (لو لم يبق من الدهر إلا يوم لبعث الله رجلا من أهل بيتي يملؤها عدلا كما ملئت جورا)[2]، وفي ذات السياق روي عن سعيد بن المسيب، عن أم سلمة قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (المهدي من عترتي من ولد فاطمة)[3].

كما روي عن النبيﷺ انه قال: (لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي)[4]، وقال(ﷺ): (لا تقوم الساعة حتى يملك رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي يملأ الأرض عدلا وقسطا كما ملئت ظلما وجورا)[5].

وروي أيضا عن النبي ﷺ انه قال : (لا تقوم الساعة حتى تملأ الأرض ظلما وعدوانا، ثم يخرج رجل من أهل بيتي أو عترتي، فيملأها

---

١. مسند احمد ، الإمام احمد بن حنبل: ١/٣٧٦ – ٣٧٧.

٢. سنن أبي داود ، ابن الأشعث السجستاني : ٢/ ٣٠٩ – ٣١٠

٣. المصدر السابق.

٤. سنن الترمذي ، الترمذي: ٣/ ٣٤٣.

٥. المعجم الكبير ، الطبراني : ١٠/ ١٣٣.

قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وعدوانا)[1]، كما روي عنه ﷺ انه قال: (يلي رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي، لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطوّل الله ذلك اليوم حتى يلي)[2].

وعلى الرغم من صحة هذه الأحاديث وكثرتها في مصادر المسلمين، نجد أن الفرقة الوحيدة التي تعيش حالة الانتظار لظهور الإمام المصلح وتتفاعل مع هذه القضية إلى أقصى الحدود هي فرقة الشيعة فقط، ولا يخفى ذلك على المتتبع لمجمل شعائرهم وشعاراتهم وادعيتهم وحتى مؤلفات علمائهم، في الوقت الذي لا نجد فيه مثل هذه الأصداء لدى غير الشيعة من باقي المذاهب.

١. موارد الظمآن، الهيثمي: ٦/ ١٣٢.

٢. كنز العمال، المتقي الهندي: ١٤/ ٢٦٤.

خامسا: نظرة على بعض عقائد الشيعة

تميز الشيعة بمجموعة من العقائد التي نهلوها من تعاليم النبي ﷺ واهل بيته عليهم السلام، وقد اتفقت طوائف المسلمين المختلفة معهم في بعض هذه العقائد، وافترقوا عنهم بسواها، ونحن في هذا الباب ندرج بعض العقائد التي امتاز بها الشيعة بشكل واضح عن عامة مذاهب المسلمين إتماما للفائدة[1].

١ - القضاء والقدر

لم يوفق اي مذهب من مذاهب المسلمين إلى أن يقفوا على حقيقة القضاء والقدر الإلهي، فكل من تكلم في هذا الباب وقع في محاذير عقلية، ما خلا الشيعة، فهم إنما وقفوا على الحق الصريح في امر القضاء والقدر بأتباعهم تعليم أئمة أهل البيت عليهم السلام في هذه المسألة الحساسة.

فالاشاعرة قالوا بان الله اجبر العباد على أفعالهم، وهو الفاعل لأفعال المخلوقين، وبالتالي فهم ينسبون الظلم إلى الله تعالى، حيث يجبر العاصين على المعاصي ثم يعذبهم عليها، أما المعتزلة فإنهم -تخلصا من المحذور الذي وقع فيه الاشاعرة -قالوا باستقلال أفعال العباد عن

١. اقتبسنا بعض الفقرات في هذا الباب من كتاب عقائد الامامية للشيخ محمد رضا المظفر

أمر الله تعالى، وبالتالي فهم يخرجون جزء من مخلوقات الله تعالى عن امره وسلطانه، والله تعالى يقول: ﴿**اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ**﴾ (الزمر/٦٢).

أما الشيعة فهم يعتقدون بان أفعال العباد تقع في مرتبة بين الأمرين، فلا يسلب الله تعالى العبد حرية اختياره لفعل ما، وفي الوقت نفسه لا يخرج فعل الإنسان عن إرادة الله ومشيئته.

وقد بين أهل البيت عليهم السلام لشيعتهم في العديد من الأحاديث الشريفة حقيقة الحال هذه، من ذلك ما جاء عن أمير المؤمنين عليه السلام حين سأله عباية بن ربعي الأسدي عن الاستطاعة التي بها يقوم ويقعد ويفعل، فقال: (سألت عن الاستطاعة، تملكها من دون الله أو مع الله؟) فسكت عباية، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: (قل يا عباية) قال: وما أقول ؟ قال عليه السلام: (إن قلت: إنك تملكها مع الله قتلتك وإن قلت: تملكها دون الله قتلتك) قال عباية: فما أقول يا أمير المؤمنين؟ قال عليه السلام: (تقول إنك تملكها بالله الذي يملكها من دونك، فإن يملكها إياك كان ذلك من عطائه، وإن يسلبكها كان ذلك من بلائه، هو المالك لما ملكك والقادر على ما عليه أقدرك، أما سمعت الناس يسألون الحول والقوة حين يقولون: لا حول ولا قوة إلا بالله؟) قال عباية: وما تأويلها يا أمير المؤمنين؟ قال عليه السلام: (لا

حول عن معاصي الله إلا بعصمة الله ولا قوة لنا على طاعة الله إلا بعون الله)[1].

وروي عن الامام الصادق عليه السلام انه قال: (لا جبر ولا تفويض بل امر بين امرين)[2].

وروي عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام انه قال حين ذكر عنده الجبر والتفويض: (ألا أعطيكم في هذا أصلا لا تختلفون فيه ولا تخاصمون عليه أحدا إلا كسرتموه؟) قلنا: إن رأيت ذلك، فقال: (إن الله عز وجل لم يطع بإكراه، ولم يعص بغلبة ولم يهمل العباد في ملكه، هو المالك لما ملكهم، والقادر على ما أقدرهم عليه، فإن ائتمر العباد بطاعته لم يكن الله عنها صادا ولا منها مانعا، وإن ائتمروا بمعصيته فشاء أن يحول بينهم وبين ذلك فعل، وإن لم يحل وفعلوه فليس هو الذي أدخلهم فيه)[3].

وهذه العقيدة الحقة تتساوق تماما مع تعاليم القران الكريم في هذا الصدد، كقوله تعالى: **(وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَاء اللّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلا آبَاؤُنَا وَلاَ حَرَّمْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ**

١. تحف العقول لابن شعبة الحراني ٤٦٧ : ٤٦٨.

٢. الهداية للشيخ الصدوق ١٨

٣. التوحيد للشيخ الصدوق ٣٦١.

مِن قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ)(النحل/٣٥) وقوله تعالى: (**وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَن يَشَاء اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ**)(التكوير/٢٩).

٢ - عصمة النبي والأئمة عليهم السلام:

يعتقد الشيعة بنزاهة الأنبياء والأئمة عن كل الذنوب والمعاصي – صغيرها وكبيرها - وكذا عن الخطأ والنسيان، بل وهم منزهون عن كل ما ينافي الوقار، كالأكل في الطريق، أو الضحك بصوت عال، وحضور مجالس اللهو، وكل فعل يستهجنه العرف العام.

وهذا الأصل في عقيدة الشيعة مهم جدا، لأنه الضمانة التي تحافظ على رسالة السماء خالية من شوائب النقص والضلال، فالناس يحتاجون إلى هادٍ يرشدهم بقوله وفعله إلى سواء السبيل، فإذا جاز أن يصدر من هذا الهادي شيء مما ذكر من عيوب ونقص، لم يؤمن على الشريعة أن تكون كما أرادها الله تعالى على صعيد التطبيق، ولجاز أن يرتكب المسلمون الخطأ والقبيح لان قدوتهم ومرشدهم يصدر عنه ذلك.

٣ - البداء

إن مما امتازت به مدرسة أهل البيت عليهم السلام مسالة البداء في القضاء والقدر الإلهي، وهي مسألة تتوقف عليها الكثير من الحقائق المهمة التي تؤثر على سلوك الإنسان وعلاقته بخالقه سبحانه.

وحقيقة البداء هي: إن الله تعالى قد يقدر أمرا من أمور عباده، ثم يمحو ذلك التقدير ويقدر أمرا غيره، هذا مع سبق علمه تعالى بذلك، وهذا الأمر إنما يقدره الله تعالى بهذا الشكل لمصلحة عظيمة، وقد بينها أستاذ الفقهاء السيد الخوئي(قدس سره) في كتابه البيان في تفسير القران حيث قال: القول بالبداء يوجب انقطاع العبد إلى الله وطلبه إجابة دعائه منه وكفاية مهماته، وتوفيقه للطاعة، وإبعاده عن المعصية، فإن إنكار البداء والالتزام بأن ما جرى به قلم التقدير كائن لا محالة -دون استثناء -يلزمه يأس المعتقد بهذه العقيدة عن إجابة دعائه، فإن ما يطلبه العبد من ربه إن كان قد جرى قلم التقدير بإنفاذه فهو كائن لا محالة، ولا حاجة إلى الدعاء والتوسل، وإن كان قد جرى القلم بخلافه لم يقع أبدا، ولم ينفعه الدعاء ولا التضرع، وإذا يئس العبد من إجابة دعائه ترك التضرع لخالقه، حيث لا فائدة في ذلك، وكذلك الحال في سائر العبادات والصدقات التي ورد عن المعصومين عليهم السلام أنها تزيد في العمر أو في الرزق

أو غير ذلك مما يطلبه العبد[١] . وهذا هو سر ما ورد في روايات كثيرة عن أهل البيت عليهم السلام من الاهتمام بشأن البداء[٢].

على انه لا يتوهم من أن الشيعة يعتقدون بان الله تعالى يبدو له شيئا لم يكن يعلمه من قبل، فهذا مما ينكره الشيعة اشد الإنكار، روي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (من زعم أن الله عز وجل يبدو له في شيء لم يعلمه أمس فابرأوا منه) [٣]، وعنه عليه السلام أيضا: (إن الله يقدم ما يشاء ويؤخر ما يشاء ويمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء وعنده أم الكتاب) [٤] وقال: (فكل أمر يريده الله فهو في علمه قبل أن يصنعه، ليس شيء يبدو له إلا وقد كان في علمه، إن الله لا يبدو له من جهل) [٥].

وشواهد البداء وردت صريحة في القران الكريم كقوله تعالى: **(يَمْحُو اللّهُ مَا يَشَاء وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ)**(الرعد/٣٩) وقوله تعالى: **(لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ)**(الروم/٤).

---

١. روي عن الامام الصادق(عليه السلام) انه قال: (الدعاء يرد القضاء بعد ما ابرم ابراما..) وسائل الشيعة ٧: ٢٧

٢. البيان في تفسير القرآن، السيد الخوئي: ٣٩١ـ ٣٩٢.

٣. بحار الانوار للعلامة المجلسي ٤: ١١١

٤. المصدر السابق ٤: ١٢١

٥. المصدر السابق

٤ - فتح باب الاجتهاد

منذ أن قضى اجل النائب الرابع للإمام المهدي(عجل الله فرجه الشريف) سنة٣٢٩ هـ، وابتدأ عصر الغيبة الكبرى، رجع الشيعة إلى علماء الدين الموثوقين، وذلك انطلاقا من توجيه أئمة أهل البيت عليهم السلام شيعتهم في اخذ أحكامهم من الفقهاء العدول الصائنين لدينهم المخالفين لأهوائهم المطيعين لأمر مولاهم، إقرارا منهم عليهم السلام لما هو مسلّم عقلا من وجوب رجوع الجاهل إلى العالم.

مع العلم أن هذا الأمر لا يختص بعصر الغيبة، وإنما له شواهد حتى في زمان حضور الأئمة عليهم السلام، وكمثال على ذلك ما ورد عن عمر بن حنظلة انه قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن رجلين من أصحابنا بينهما منازعة في دين أو ميراث، فتحاكما إلى السلطان أو إلى القضاة، أيحل ذلك؟ فقال: (من تحاكم إليهم في حق أو باطل فإنما تحاكم إلى الطاغوت، وما يحكم له فإنما يأخذ سحتا، وإن كان حقا ثابتا) إلى أن قال: (ينظران إلى من كان منكم ممن قد روى حديثنا، ونظر في حلالنا وحرامنا، وعرف أحكامنا، فليرضوا به حكما، فإني قد جعلته عليكم حاكما، فإذا حكم بحكمنا فلم يقبل منه فإنما استخف بحكم الله وعلينا رد، والراد علينا راد على الله، وهو على حد الشرك بالله)[1].

١. تحرير الاحكام ، العلامة الحلي: ٥/٢٤٠.

ومنذ ذلك العصر، قويت شجرة الاستنباط الفقهي عند الشيعة، وهو ما يسمى بالاجتهاد، اعتماداً على الموروث الإسلامي الوارد عن النبي وأهل بيته(عليهم السلام) من اجل الوقوف على حكم الإسلام فيما يستجد من أمور في ظل التطور الحضاري المستمر للبشرية.

هذا مع الأخذ بنظر الاعتبار أن طبيعة الاجتهاد عند الشيعة لا تقع في تعارض مع النص الشرعي، أي انه لا يجوز في عملية استنباط الأحكام الشرعية التفصيلية مخالفة حكم من الأحكام المتسالم على صحتها في الدين في أي وجه من الوجوه.

إن الأصول التي بنى عليها علماء الشيعة(رضي الله عن الماضين وحفظ الباقين) في عملية استنباط الحكم الشرعي -الاجتهاد - مستقاة من تعليم أهل البيت(عليهم السلام) المعصومين عن الخطأ، لذا لم تنحرف أحكامهم عن الأصول الفطرية والعقلية في التعامل مع أي مفردة من مفردات الحياة، وبذلك لم يزيغوا عن الصراط المستقيم في مجمل تاريخهم المشرف، في عصر حضور الإمام أو في غيبته.

٥ - التقية

تميز الشيعة بالتقية، وهو حق فطري في تقديم الأهم على المهم، وقد شرعها الإسلام الحنيف دفعا للضرر عن امة الإسلام وحقنا لدماء أبنائها واستصلاحا لحالهم عند الضرورة، قال تعالى: **(لاَّ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُوْنِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً)** (آل عمران/٢٨).

وهذا الحكم يساوق الفطرة الإنسانية، فكل إنسان إذا أحس بالخطر على نفسه أو ماله بسبب نشر معتقده أو التظاهر به لا بد أن يتكتم ويتقي مواضع الخطر.

على إن للتقية أحكام من حيث وجوبها وعدمه بسبب اختلاف مواقع خوف الضرر، مذكورة أبوابها في كتب الفقهاء، كما انها ليست واجبة على كل حال، بل قد يجوز أو يجب خلافها في بعض الأحوال، كما إذا كان إظهار الحق والجهر به فيه نصرة الدين وخدمة الإسلام وجهاد في سبيل الله، فانه عند ذلك تهون الأموال والنفوس.

٦ - زيارة القبور

مما امتازت به فرقة الشيعة، عنايتهم بزيارة القبور، وبالذات زيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقبور أهل بيته الكرام عليهم السلام، وعمارتها.

ويرجع عملهم ذلك الى وصايا ائمتهم عليهم السلام وحثهم على زيارتها، لما في ذلك من الثواب الجزيل من الله تعالى، فهي علامة على تمام الوفاء بعهود الائمة، وتجدد في النفوس ذكر مآثرهم وأخلاقهم وجهادهم، وتزيد من رابطة الولاء والمحبة بين الائمة واوليائهم، وقد روي عن الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام انه قال: (ان لكل امام عهدا في عنق اوليائه وشيعته، وان من تمام الوفاء بالعهد وحسن الاداء زيارة قبورهم، فمن زارهم رغبة في زيارتهم وتصديقا بما رغبوا فيه كان ائمتهم شفعاؤهم يوم القيامة)[1].

ومن فوائد زيارة قبور المؤمنين قراءة الدعاء والقران وتذكر الآخرة والاعتبار بمصارع الأولين، وأداء حق الأخوة الدينية وعدم جفاء الإنسان والانقطاع عنه بعد موته.

---

١. المقنعة للشيخ المفيد: ٤٧٤.

سادسا: طوائف نسبت إلى الشيعة

إن من الخطأ الصريح أن تنسب إلى الشيعة طوائف أخرى من المسلمين يخالفونهم في أصول عقيدتهم، كالكيسانية والناووسية والفطحية والواقفية والاسماعيلية والزيدية، لأنه -كما أسلفنا مرارا -إن محور عقيدة الشيعة الامامية هو التقيد التام بالمعطيات الصريحة للقران الكريم والسنة النبوية الشريفة على مر العصور، ومثل تلك الطوائف قامت في عصور متأخرة على أفكار صاغها مؤسسوا هذه الطوائف وفقا لظروف عقائدية أو سياسية مرت بهم، ولم يرد في القران الكريم ولا في سنة رسول الله ﷺ ما يؤكد على أصالة تلك الأفكار في الدين الإسلامي.

على أن السبب الأساسي الذي جعل الناس يشتبهون في نسبة هذه الطوائف إلى الشيعة يعود إلى فهم خاطئ لحقيقة التشيّع، وهو الفهم القائم على اعتبار أن الشيعي هو كل من آمن بأحقية الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في تولي دفة الحكم في الأمة، وعلى الرغم من أن هذا الاعتقاد صحيح في نفسه ويؤمن به الشيعة، إلا انه ليس كل شيء في أصل عقيدتهم، وأحد أهم جوانب عقيدة الشيعة يقوم بالأصل على

التقيّد التام بسنة النبي ﷺ ومخالفة أي منهج أو رأي يخالف هذه السنة من قبل أي احد كان.

وإذا رجعنا إلى الأصول العقائدية للطوائف التي نسبت إلى الشيعة، نجد أن أول خلاف بينها هو في تعداد أئمة أهل البيت عليهم السلام، فمن تلك الطوائف من تعتقد أنهم أربعة أئمة، ومنها من تعتقد أنهم ستة، ومنها من تعتقد أنهم سبعة.. هذا على الرغم من وضوح ما ورد عن النبي ﷺ في كونهم اثني عشر إماما، أولهم علي بن أبي طالب عليه السلام وآخرهم محمد ابن الحسن المهدي عليه السلام.

ولا ريب هذا الخلاف ـ لوحده ـ يعد خروجا صريحا عن تعاليم رسول الله ﷺ وإتباع غيرها من التعاليم[1]، لذا فان الخلاف بين الشيعة وهذه الطوائف هو خلاف جوهري في أصل التشريع السماوي، ومن

١. الجدير ذكره، ان اهل السنة والجماعة قد آمنوا بصحة الحديث المروي عن النبي ﷺ في ان الائمة من بعده اثنا عشر، ولكنهم لم يؤمنوا بكون اهل البيت عليهم السلام هم المقصودون بهذا الحديث ـ كما هو عقيدة الشيعة ـ وانما يرون ان كل من تولى زمام الحكم في الامة الاسلامية فهو امام شرعي.

ولما كان الخلفاء الذين تولوا زمام الحكم كثيرين ـ ابتداء من الخلافة الراشدة وانتهاء بالخلافة العباسية ـ فان طائفة اهل السنة والجماعة تحيروا في اسماء هؤلاء الائمة الاثني عشر، فذهب بعضهم الى حصر العدد باسماء الخلفاء الذين عز الاسلام في زمانهم واجتمعت الامة عليهم، ومنهم من قال انهم الخلفاء العادلون الذين استحقوا الخلافة فعلا، وغير ذلك من التأويلات.

الخطأ الشنيع أن يُلبس هؤلاء ثوب أولئك، لا على المستوى النظري ولا على المستوى العملي.

سابعا: الشيعة والتعايش السلمي

إن من أشهر ما يميز الشيعة عبر تاريخهم الطويل، صفة التعايش السلمي والابتعاد عن الحرب غير المبررة، وعلى الرغم من كونهم -في مجمل تاريخهم -عاشوا ملاحقين مقموعين مظلومين من قبل طواغيت الزمان، فإنهم لم يقوموا بالسيف إلا في مراحل مصيرية كان لزاما عليهم فيها ذلك، دفاعا عن الدين وحفاظا على الحق من الضياع.

لقد أعطى أهل البيت عليهم السلام لشيعتهم درسا مهما في قضية الصراع بين الحق والباطل، وهي أن ما كل إكراه وعنف يمكن أن يهدي الناس إلى الصراط المستقيم، بل أن السيرة الحسنة والسلوك الأمثل الذي يحذوه المسلم في مجتمعه هو في الواقع ابلغ في التعبير وأقوى في الحجة من العنف والقوة.

روي عن زيد الشحام انه قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: (اقرأ على من ترى أنه يطيعني منهم ويأخذ بقولي السلام، وأوصيكم بتقوى الله عز وجل، والورع في دينكم، والاجتهاد لله، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وطول السجود، وحسن الجوار، فبهذا جاء محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وأدوا الأمانة إلى من ائتمنكم عليها برا أو فاجرا، فان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يأمر بأداء الخيط والمخيط، صلوا عشائركم، واشهدوا جنائزهم، وعودوا

مرضاهم، وأدوا حقوقهم، فان الرجل منكم إذا ورع في دينه وصدق الحديث وأدى الأمانة وحسن خلقه مع الناس قيل هذا جعفري، فيسرني ذلك ويدخل علي منه السرور، وقيل هذا أدب جعفر، وإذا كان على غير ذلك دخل علي بلاؤه وعاره، وقيل هذا أدب جعفر، والله لحدثني أبي عليه السلام أن الرجل كان يكون في القبيلة من شيعة علي عليه السلام فيكون زينها أداهم للأمانة، وأقضاهم للحقوق وأصدقهم للحديث إليه وصاياهم وودائعهم، تسأل العشيرة عنه فتقول من مثل فلان إنه أدانا للأمانة، وأصدقنا للحديث)[1].

وروي عنه عليه السلام أنه أوصى بعض شيعته فقال لهم: (كونوا لنا دعاة صامتين) قالوا: وكيف ذلك يا ابن رسول الله؟ قال: (تعملون بما أمرناكم به من طاعة الله وتنتهون عما نهيناكم عنه ومعاصيه، فإذا رأى الناس ما أنتم عليه، علموا فضل ما عندنا فسارعوا إليه، أشهد لقد سمعت أبي عليه السلام يقول: شيعتنا فيما مضى خير من كان، إن كان إمام مسجد في الحي كان منهم، وإن كان مؤذن في القبيلة كان منهم، وإن كان موضع وديعة وأمانة كان منهم، وإن كان عالم يقصد إليه الناس لدينهم

١. وسائل الشيعة (الإسلامية)، الحر العاملي: ٨/ ٣٩٨ ـ ٣٩٩.

ومصالح أمورهم كان منهم، فكونوا أنتم كذلك، حببونا إلى الناس، ولا تبغضونا إليهم)[1].

وروي عنه عليه السلام ايضا أنه قال للمفضل: (أي مفضل، قل لشيعتنا كونوا دعاة إلينا بالكف عن محارم الله، واجتناب معاصيه وإتباع رضوانه، فإنهم إذا كانوا كذلك كان الناس إلينا مسارعين)[2].

إن انتهاج أتباع أهل البيت عليهم السلام لهذا المنهج المبارك، جعل الناس يدخلون في خط التشيع أفواجا، وبخاصة في أيامنا هذه، حيث الانفتاح الإعلامي الذي مكن الشيعة من إيصال صوت عقيدتهم الحقة إلى مسامع الناس جميعا، هذا على الرغم من الهجمات العالمية الشرسة ـ المتمثلة بمنهج الإرهاب والإشاعات الكاذبة ـ التي تحاول أن تمنع الناس عن الدخول في حرم هذا الخط الإسلامي الأصيل.

١. شرح الأخبار ، القاضي النعمان المغربي: ٣/ ٥٠٦.

٢. المصدر السابق.

المحتويات

تمهيد	٥
مقدمة	٧
أولا : التشيّع في اللغة والاصطلاح	١٣
ثانيا : الشيعة في عهد النبي(صلى الله عليه واله)	١٦
ثالثا : الشيعة في عهد أئمتهم (عليهم السلام)	١٨
نبذة عن أئمة أهل البيت(عليهم السلام)	٢٢
رابعا : الشيعة في عصر الغيبة	٣١
خامسا : نظرة على بعض عقائد الشيعة	٣٤
القضاء والقدر	٣٥
عصمة النبي والأئمة(عليهم السلام)	٣٨
البداء	٣٩
فتح باب الاجتهاد	٤١
التقية	٤٣
زيارة القبور	٤٤
سادسا : طوائف نسبت إلى الشيعة	٤٥
سابعا : الشيعة والتعايش السلمي	٤٨